

كن مضحياً

العوتاني



سلسلة كُن

٣١

كُن مُضحّياً

إعداد
مدحت منصور المظالي

إشراف
عاطف عبد الرشيد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

التّضْحِيَةُ والفِداءُ وَجْهَانِ مُشْرِقَان لِخُلقٍ حَسَنٍ حَميدٍ، وَهُما مُتلازِمَان لاَ يَنْفَصِلاَن، فَلاَ تَضْحيةَ بغَيرِ فِداء، ولاَ فداء بغَيرِ تَضْحِيَةٍ. ويُقْصَدُ بالتَّضْحِيَةِ والفِدَاء أنْ يُقدِّمَ الإنْسَانُ كُلَّ مَا يَستطِيعُ في سَبيلِ هَدَفِه الأسْمَى الّذي يَسْعَى إلَيْهِ، ولَيس هُنَاكَ أسْمَى مِنَ الحُصُولِ عَلَى رِضَا الله وَرَسُوله، والسَّعْيِ إلَى نَشْرِ دِينِ الله فِي الأَرْضِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وَقَدْ تَحلَّى بِهَذا الخُلُق الكَرِيمِ الأنْبياءُ - صَلَواتُ الله وتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِم - كَمَا اتَّصَفَ بِهِ الصَّحابَةُ الكِرَامُ - رِضِيَ الله عَنهم -. وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الأوْلِياءِ والصَّالِحين، فَنالُوا بذلِكَ خَيرَ الدُّنْيا وَحُسْنَ جَزَاءِ الآخِرَةِ.

كُنْ فِدائِيًّا وَمُضَحِّيًا

تَتَعدَّدُ صُوَرُ التّضْحِيَةِ وَمَجالاَتُ الفِدَاءِ التي نَحُثُّكَ عَلَيْها، وَمِنها: التضحيةُ بالنفسِ وبالأهلِ وبالمالِ.

كُنْ مُضَحّيًا بِنَفْسِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ

إنَّ أسْمَى دَرَجَاتِ التَّضْحِيَةِ أنْ يُضَحِّيَ الْمَرْءُ بنَفْسِه الغالِيَةِ عَلَيْهِ فِي سَبيلِ اللهِ فَتَكُونَ عِنْدئذٍ أهْوَنَ مَا تكُونُ عَلَيْهِ. وفيما يلي نقدمُ نَماذجَ للتَّضحية بِالنَّفْس فِي سَبيلِ اللهِ:

١ ـ الشَّهيدُ الطَّائِرُ: لَقَدْ أَبْلَى جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ بلاَءً حَسَنًا فِي غَزْوَةِ (مُؤتَة)، فَقَدْ ضَرَبَ الأعْدَاءُ يَدَهُ التي تَحْمِلُ الرَّايَةَ فَسَقَطَتْ، فَحَمَلها باليدِ الأُخْرَى، فَقَطَعُوهَا وطَعَنُوهُ طَعْنَةً شَديدَةً فِي صَدْرِه وَهُوَ يَحْتَضِنُ الرَّايَةَ حَتَّى رَفَعَها عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عنِ ابنِ عباسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: "رَأيْتُ جَعْفَرَ بنَ أبِي طَالِبٍ مَلَكًا يطيرُ فِى الجنَّةِ، ذَا جناحيْنِ يطيرُ بِهِمَا حيثُ شَاءَ مُضَرجَةٌ (ملطَّخةٌ) قَوَادِمُهُ بالدِّمَاءِ [الطبراني].

٢ ـ الشَّهيدُ الْمَصْلُوبُ: أمْسكَتْ قُرَيْشٌ بِخُبَيب بنِ عَديّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أرْسَلَهُ إِلَى إحْدَى القَبَائِلِ مَعَ عَدَدٍ آخرَ مِنَ الْمُسْلمينَ لِيُعَلِّمُوا أهْلَهَا القُرآنَ، ولَكِنَّه وَقَعَ فِي أيْدِي الكُفَّارِ، فَآذوهُ أذًى شَديدًا، وَطَلَبُوا مِنْهُ أنْ يَرْتَدَّ عَنْ دِينِ مُحَمَّد، فرفضَ، فصلبُوهُ عَلَى عَامُودٍ، فَدعَا وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ القِبْلَةَ قَائِلاً: اللّهُمَّ بَلِّغْ رَسُولَك مِنِّي السَّلاَمَ، وبَلِّغْهُ مَا يَصْنَعُ بِنَا

القَوْمُ، اللهُمَّ أحْصِهِمْ عَدَدًا، واقْتُلْهُم بَدَدًا، ولاَ تُبْقِ مِنْهُم أحَدًا.

وكَانَ النّبيُّ جَالسًا بَيْنَ أصْحابِه فِي المَدِينَة، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أفَاقَ، وَهُوَ يَقُولُ: "وَعَليكَ السَّلاَمُ يَا خُبَيْبُ ورَحْمَةُ الله وبَرَكاتُهُ"، فَسأَلَهُ الصَّحَابَةُ عَنْ ذَلكَ فَقَالَ: أقتَلَتْهُ قُرَيْشٌ؟ ثُمَّ أرْسَلَ بَعْضَ الْمُسْلمينَ لإحْضَارِهِ فَوَجَدُوا جُثَّتَهُ كَمَا هِيَ لَمْ تَتَغَيّرْ، تَفُوحُ مِنْها رَائِحَةُ الْمِسْكِ. [ابن إسْحَاق].

٣ ـ الْمُحبُّ للرَّسُولِ ﷺ: كَانَ زَيدُ بنُ الدّثِنّة ـ رضي الله عنه ـ قَدْ وَقَعَ أسيرًا فِي أيْدِي الْمُشْرِكينَ، فَسَاومَهُ الكُفَّارُ عَلَى تَرْكِ الإسْلاَمِ ونَبيِّه فَأبَى واقْتَرَبَ منْهُ أبوُ سُفْيانَ بنُ حَرْبٍ ـ قَبْلَ إسْلاَمه ـ وقَال لَهُ قَبْلَ أنْ يَقْتُلُوهُ: يَا زَيدُ، أسْألُكَ بالله، ألاَ تُحبُّ أَنْ تكَونَ بيْن أهْلكَ الآنَ مُعَافًى، وَمُحَمَّدٌ هُنَاكَ مكانَهُ؟ فَقَالَ زَيدٌ: لاَ والله يَا أبَا سُفْيانَ، مَا أوَدُّ أنْ أسْلَمَ لأهْلِي وَعِيَالِي وَنَفْسِي، ونَبِيُّ الله يُصابُ بِشَوْكَةٍ فِي إصْبَعه. فَضَرَبَ أبُو سُفْيانَ كَفًّا بِكَفٍّ دَهْشَةً وَتَعَجُّبًا وَهُوَ يَقُولُ: مَا رَأيْتُ أحَدًا يُحِبُّ أحَدًا كَحُبِّ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا.

*** كُنْ مُلْتَزِماً بِخُلُقَ التّضْحِيَة بِنَفْسِكَ في سَبيلِ الله بِمَا يَلِي :**

١ ـ أَنْ تُحِبَّ اللهَ تَعَالَى : مَنْ أحَبَّ اللهَ تعَالَى هَانَ عَلَيْه كلُّ شَيْءٍ فِي سَبيلِ رِضَا اللهِ وَلَوْ كَانتْ نَفْسهُ؛ يُرْوَى أَنَّ

الرسُولَ ﷺ مرَّ عَلَى الحَارثِ بنِ مَالكٍ الأنْصَاريِّ ذَاتَ صَبَاحٍ فَسَألَهُ قَائلاً: "كَيْفَ أصْبَحْتَ يَاحَارِثُ؟ قَالَ: أصْبحتُ مُؤمنًا حَقًّا يَا رَسُولَ الله. قَالَ: "لِكُلِّ شَيءٍ حَقِيقَةٌ فَمَا حَقِيقَةُ إيمَانِكَ؟" قَال: أصْبحتُ كَأنِّي أرَى عَرْشَ رَبِّي بَارِزًا، وَأرَى أصْحَابَ الْجَنَّة فِي الْجَنَّة مُنَعَّمِينَ، وَأَصْحابَ النَّارِ فِي النَّارِ يَتضَاغَونَ، فَأظْمَأتُ نَهارِي، وَأسْهَرتُ لَيْلِي. فَابْتَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ ابْتِسَامَةَ الرضَا عَنْ هَذَا الرجلِ وَقَال لَهُ: "عَرَفْتَ فَالْزَمْ" [الطبراني].

٢ ـ **أَنْ تُحِبَّ رَسُولَ الله**: مِنَ الوَسَائِلِ الَّتِي تُعِينُ عَلَى التَّضْحِيةِ بِالنَّفْسِ فِي سَبيلِ الله أَنْ يُحِبَّ الْمُسْلِمُ رَبَّهُ وَرَسُولَهُ ـ عَلَيهِ السلامُ ـ، فَالرسُولُ هُوَ النُّورُ الهَادِي الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِيخْرِجَهُم مِنَ الظُّلُماتِ إِلىَ النُّور بِإِذْنِهِ تَعَالَى.

يُحكى أَنَّ الصَّحابِيَّ الْجَليلَ أَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ ـ رضي الله عنه ـ كانَ يُقَاتِلُ الْمُشركينَ يَوْمَ أُحُدٍ قِتَالاً شَدِيدًا، وَلَمَّا أَحاطَ المشرِكُونَ بالرسُولِ ﷺ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، رَفَعَ سَيْفَهُ في وُجُوهِهِم وَأخذَ يَضْرِبُهُمْ حَتَّى فَرَّقَهُم، وكَان النَّبيُّ قَدْ أُصِيبَ فِي وَجْهِهِ بِحلقَتَينِ مِنْ حلَقِ الخوذَة (مِنَ الحديد) فَقَالَ أَبُو عُبَيدةَ لأبِي بكْرٍ: أسْأَلُكَ بِالله يَا أَبَا بكْرٍ أَنْ تَتْرُكَنِي أَنْزِعُهُمَا مِنْ وَجْهِ النَّبيِّ ﷺ، فَتَركَهُ أَبُو بكْرٍ لَمَّا أقْسَم عَلَيه بِاللهِ، فَنَزَعَ

إحْدَى الحَلْقَتينِ بثنيته فَسقَطْت ثِنْيَةُ أَبِي عُبيدةَ معَها، ثُمَ أخذَ الحَلقَةَ الأُخْرَى فَسقَطتْ ثِنيَتُهُ الأُخرى، وَمِنْ يوْمِها كَان أَبُو عُبيدةَ فِي النَّاسِ أثْرَمَ أهْتَم (وهو الذي كُسرَتْ أسنانُهُ الأمامية) وكَانَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الله وَحُبًّا للنبيِّ ﷺ. [البيهقي].

٣ ـ **أَنْ تُجَاهِد نَفْسَكَ**: النَّفْسُ تَدْعُو صَاحِبَها إِلَى التَّخاذُل والتكاسُلِ والْمَيلِ إِلى الْحَياةِ واعْتِبارِهَا الخَالدَةَ البَاقِيَة؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧ ـ ٨].

ويَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

*** ثِمَارُ التَّمسكِ بخُلقِ التَّضحيةِ بِنَفْسِكَ فِي سَبيلِ الله :**

١ ـ **عِزَّةُ الإِسْلَامِ** : كَانَ أَبُو بكَرِ الصِّديقُ ـ رضي الله عنه ـ يُوصِي الْجُنُودَ فَيَقُولُ: احْرِصوا عَلَى المَوْتِ، تُوهَبْ لَكم الحَياةُ.

٢ ـ **نَعِيمُ الْجَنَّة**: كُلُّ مَنْ يُؤثِرُ آخِرَتَهُ عَلَى دُنْياهُ يَفُوزُ بنَعِيمِ الْجنَّةِ فِي الآخِرَة. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٣٧ ـ ٤١]. ويَقُولُ تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾ [التوبة: ١١١].

كُنْ مُضَحيًا بأهْلِكَ فِي سَبيلِ اللهِ

مِنْ أَجَلِّ صُوَرِ التَّضْحيَة فِي سَبيلِ اللهِ أَنْ يُضَحّيَ الْمَرْءُ بِأهْلِهِ ابْتِغاءَ مَرْضَاةِ اللهِ عَزَّ وَجلَّ.

*** ومِنْ صُورِ التَّضْحيةِ بِالأَهْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ:**

١ ـ **تَضْحِيَةُ الخَلِيلِ**: أَقْدَمَ نبيُّ اللهِ الخَلِيلُ إبْراهيمُ عَلَى ذَبْحِ وَلَدِهِ إسْمَاعِيل تَنْفيذًا لِرُؤياهُ فِي مَنَامِه؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ

صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٧].

٢ ـ الخَلِيلُ يُضَحِّي بِرِضَا وَالِدِه: يَا تُرَى، مَا هُوَ مَوْقِفُ الابنُ مِنْ أَبَوِيه إِذَا أَمَرَاهُ بِمَا يُغْضِبُ اللهَ تَعَالَى؟!

كَانَ وَالِدُ نَبِيِّ اللهِ إبْراهيم عَابِدًا لِلأَصْنَامِ، وطلبَ مِنَ ابْنِه أَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ، لَكِنَّ إبْراهيمَ ـ عليه السَّلامُ ـ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ يُشْرِكُ بِهِ أحدًا فَأَبَى مُطاوعَتَهُ فِيمَا يُغْضِبُ رَبَّهُ، وَنَصَحَ لِوَالِدِهِ وَدَعَا لَهُ بِالْهِدَايَة؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٥].

٣ ـ تَضْحيةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الْجَرَّاحِ: يُرْوَى أَنَّهُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ تَعَرَّضَ وَالِدُ أَبِي عُبَيْدَةَ لَهُ لِيُقَاتِلَهُ، فَانْحَرفَ عَنْهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَلَمْ يُقاتِلْهُ، وَلَكِنَّ الأَبَ الْمُشْرِكَ أَصَرَّ فِي عِنَادٍ عَلَى قِتَالِ وَلَدِهِ

الْمُسْلِمِ، فَلَمْ يَجِدْ أَبُو عُبَيدةَ مَفرًّا مِنْ مُقَاتَلَةِ أَبيهِ، فَقَاتَلَهُ فِي شَجَاعَةٍ حتَّى قَتَلَهُ، وَضَحَّى بِوَالِدِهِ مِنْ أَجْلِ دِيْنِ اللهِ ونُصْرَةِ الحَقِّ، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلك قُرآنًا حَيثُ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

* كُنْ مُلْتَزِمًا بخلُقِ التّضْحيةِ بِأَهْلِكَ فِي سَبيلِ اللهِ بِمَا يَلِي:

١ ـ الاقْتدَاءُ والتَّشبُّهُ: مِنَ الأُمُورِ التِي تُعينُ الْمُسْلِمَ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّقَ بِخُلُقِ التّضْحيةِ بِأَهْلِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِمَنْ سَبَقُوهُ مِنَ الّذينَ ضَرَبُوا الْمَثَلَ الْحَسَنَ فِي التّضْحيةِ والفِداءِ بَالأَهْلِ.

يُحكَى أَنَّ امْرأَةً أَنْصَارِيَّةً قُتِلَ أَبُوهَا وأَخُوها وزَوجُها يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمَّا أُخبِرتْ بِذلكَ قَالَتْ: مَا فُعِلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالُوا: خَيرًا.. هُوَ بِحَمْدِ اللهِ كَمَا تُحبِّين.

فَقَالَتْ: أرُونيه حَتَّى أنْظُرَ إلَيْهِ، فَلَمَّا رَأتْهُ قَالَت: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ (أي: هَيِّنَةٌ).

٢ ـ **حُبُّ رَسُولِ اللهِ**: إنَّ فِي حُبِّ الْمُسْلِمِ لِرَسُولِ اللهِ دَافِعًا عَلَى التّضْحيَةِ بِأهْلِه فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالَى. فَهَذِه أُمُّ حبيبَةَ بنتُ أَبِي سُفْيانَ وَزَوجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ أبُوها قَبْلَ إسْلاَمِه بَيْتَها، فَهَمَّ بِالْجُلُوسِ عَلَى فِراشِ النَّبيِّ ﷺ، فَمَنَعتْهُ أمُّ حَبِيبَةَ، وَعِنْدَما سَأَلَها عَنْ السَّبَبِ مُتَعجّبًا، قَالَتْ: إنَّهُ فِراشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأَنْتَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجسٌ، فَلاَ أُحِبُّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِراشِه.

*** ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بخُلُقِ التّضْحيةِ بِالأهْلِ فِي سبَيلِ اللهِ تَعَالَى:**

١ ـ **الفَلاَحُ**: مِنْ دَوَاعِي الفَلاَحِ والرَّشَادِ أَنْ يُضَحِّيَ الْمَرْءُ بِنَفْسِه ومَالِه وأهْلِه فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالَى، فَذلك مِنَ الإيْثَارِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

٢ ـ **حِزْبُ اللهِ**: الَّذينَ يُضَحُّونَ بِأمْوالِهِم وأهْلِيهِم وأنْفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى هُمْ حِزبُ اللهِ، وَحِزبُ اللهِ يَنْعَمُونَ بِنَعيمِ الجَنَّةِ فِي الآخِرَةِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٣ ـ **مَحَبَّةُ رَسُولِ اللهِ** : يَكُونُ حُبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ نَصِيبِ كُلٍّ مِنْ يَكُونُ متصفًا بالتّضْحيةِ بِأهْلِه فِي سَبيل الله تَعَالَى؛ يُرْوَى أَنَّ أَبَا بكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ دَعَا ابْنَهُ عَبْدَ الله إِلَى المبارزة يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "متّعْنَا بِنفْسكَ يَا أَبَا بكْرٍ، أفتَعْلَمُ أَنَّكَ عِنْدِي بِمَنْزِلَة السَّمْع والبَصَرِ" [القرطبي]، كَمَا يُرْوى أَنَّ مُصْعَبَ بنَ عُميرٍ قَتَلَ أخَاهُ عُبيدَ بنَ عُميرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، وذَلِكَ ابْتِغَاء مرضَاةِ الله وَرَسُولِهِ.

كُنْ مُضَحِّيًا بِمَالِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ

الْمَالُ نعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ الكُبْرى عَلَى النَّاسِ، وإذا كان المَرْءُ يحرصُ عَلَيْه حِرْصًا شَديدًا، فَكَيفَ يكُونُ ثَوابُهُ إِذَا ضَحَّى بِهِ فِي سَبيلِ الله تَعَالَى وابْتغاءَ وَجْهِهِ الكَرِيمِ؟ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

*** ومِنْ صُوَرِ التّضحيةِ بِالْمَالِ فِي سَبيلِ اللهِ :**

١ ـ **تَضْحيةُ أَبِي بَكْرٍ بِمالِهِ** : لَقَدْ هَانَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ كُلُّ ثَرائِهِ فِي سَبيلِ الله تَعَالَى، فَقَدْ أَنْفَقَ مَالَهُ كُلَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ودَعْوَتِهُ وَمُحَارَبَةِ أعْداءِ اللهِ. وَقَدْ جَاء بِكُلِّ

مَاله إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسأَلَهُ: "وَمَاذَا تَركْتَ لأُولادِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟" فَقَالَ: تَركْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ. [أَبُو داود التِّرمِذي].

٢ ـ **تَضْحِيَةُ صُهَيْب الرُّومِيِّ**: أَرَادَ صُهَيبُ الرُّومِيُّ أَنْ يَلْحق بِرَسُولِ اللهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَرَادتْ قُرَيشٌ أَنْ تَمْنَعَهُ، فقالُوا له: لقدْ جِئتَنَا فقيرًا، لا مالَ لكَ؛ فإذَا أَرَدْتَ أَنْ تلحقَ بِمُحَمَّدٍ فاتْرُكْ مالَكَ لَنَا؛ فَأَعْطَاهُم إِيَّاهُ، ولَمَّا وَصَلَ إِلَى النَّبِيِّ اسْتَقْبَلَهُ مُسْتَبشرًا وقَالَ لَهُ: "رَبِحَ البَيْعُ أَبا يَحْيَى، رَبِحَ البَيْعُ أَبَا يَحْيَى"، ثُمَّ نَزَلَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

*** كُنْ مُلْتَزِمًا بخلُقِ التَّضْحيةِ بِأَهْلِكَ فِي سَبيلِ اللهِ بِمَا يَلِي:**

١ ـ **الإيمانُ بِأَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللهِ**: أَكْثَرُ مَا يُعينُ الإِنْسَانَ عَلَى التَّضْحِيَةِ بِمَالِهِ فِي سَبيلِ اللهِ هُوَ الإِيْمَانُ بأَنَّ الرِّزْقَ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وَيَقُولُ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذَّاريات: ٢٢].

٢ ـ خَزائِنُ اللهِ لا تَنْفَدُ أبدًا : عِنْدَمَا يرزُقُ اللهُ العَبْدَ يرْزُقُهُ بِغَيرِ حِسَابٍ، فَإِذَا آمَنَ الْمَرْءُ بِذَلِكَ ازْدَادَ إِنْفَاقُهُ وَضَحَّى بِمَالِهِ فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالَى؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران: ٢٧].

* ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ التَّضْحيةِ بِمَالِكَ فِي سَبيلِ اللهِ :

١ ـ بِرُّ اللهِ : ينالُ المنفقُ البرَّ والقربَ منَ الله تعالَى عندمَا ينفقُ مِنْ مالِهِ دونَ أَنْ يَخْشَى الفقرَ أو الحاجَةَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢].

٢ ـ القُرْبُ مِنَ اللهِ : الذي يضحِّي بِمَالِهِ فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالَى يَحْظَى بِقُرْبِ مَنْزِلَتِهِ مِنَ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَهَلْ هُنَاكَ ثَوابٌ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِك؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ" [التّرمذي].

٣ ـ سَتْرُ العَيبِ : التَّضْحيَةُ بِالمَالِ فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالَى سَبيلٌ إِلَى سَتْرِ جَمِيعِ عُيوبِ الْمَرءِ أَمَامَ النَّاسِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ:

وَإِنْ كَثُرتْ عُيوبُكَ فِي البَرايا وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غطَاءُ
تَسَتَّر بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيبٍ يُغَطِّيه ـ كَمَا قِيلَ ـ السَّخَاءُ

٣ ـ اليُسْرُ بَعْدَ العُسْرِ : يَحْظَى الْمُنْفِقُونَ والْمُضَحُّونَ فِي سَبيلِ الله بِالْيُسْرِ والسَّعةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِي حَياتِهِمُ الدُّنْيا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطّلاق: ٧].

لاَ تَكُنْ مُتَخاذِلاً

التّخَاذُلُ هُوَ حِرْصُ الإِنْسانِ عَلَى مَا يَمْلكُهُ والابتعادُ بِنَفْسِهِ عَنْ التّعَرُّضِ لِلأخْطَار، مَعَ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ تَقْديمَ التّضْحيَةِ والفِداءِ.

١ ـ مَتَاعٌ قَليلٌ : الْمُتَخاذِلُ حَريصٌ عَلَى مَتَاعِ الدُّنْيا وَقَدْ أَخبَرَ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّ مَتَاعَ الدُّنْيا قَلِيلٌ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التّوبَة: ٣٨].

٢ ـ **فِرارُ الزَّحْفِ**: حَذَّر النَّبيُّ ﷺ مِنَ فِرَارِ الْمَرْءِ فِي الْمَعْرَكَةِ حَيثُ قَالَ ﷺ: "لاَ تَفِرّ يَوْمَ الزَّحْفِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّ يَوْمَ الزَّحْفِ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ" [ابنُ مردويه].

٣ ـ **تَخَاذُلُ اليَهُودِ**: هم أَكْثَرُ النَّاسِ تَخَاذُلاً، وذَلِكَ يُوَضِّحُ دَهْشَةَ اليَهُودِ مِنْ تَضْحِيَةِ الفِلَسْطِينِيِّينَ بِأرْوَاحِهِم فِي سَبِيلِ اللهِ؛ يَقُولُ تعالَى عَن اليَهُودِ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

اِعْرِفْ نَفْسَكَ.. هلْ أنتَ مُضَحٍّ؟

هَلْ أنْتَ مُضَحٍّ وَفِدائِيٌّ؟ إذَا أَرَدتَ أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ، فَأَجِبْ عن هَذِهِ الأسْئِلَةِ بِصِدْقٍ:

١-مَا هِيَ أسْمَى دَرَجاتِ التّضْحيَة والفِدَاء؟

٢-مَنْ هَوَ الشَّهيدُ الطَّائِرُ؟ وَمَنْ هُوَ الشَّهيدُ الْمَصْلُوب؟

٣-هَلْ تُجَاهِدُ نَفْسَك مِنْ أجلِ التّضْحيةِ فِي سَبيلِ اللهِ؟

٤-كيفَ تَتَحققُ عِزَّةُ الإسْلاَمِ؟

٥-هَلْ أنْتَ مُسْتَعِدٌّ للتّضْحِيَةِ بِأهْلِكَ فِي سَبيلِ اللهِ؟

٦-هَلْ تُطالِعُ سِيرَةَ الْمُضَحِّينَ فِي سَبيلِ اللهِ؟

٧-هَلِ الْمُضَحُّونَ بأمْوالِهم وأنْفُسِهِم فِي سَبيلِ اللهِ مِنْ حِزْبِ اللهِ تَعَالَى؟

٨-مَاذَا أبْقَى أبو بكْرٍ لأسْرَتِهِ بَعْدَ أنْ قَدَّمَ مَالَهُ كَامِلاً إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

٩-هَلْ تَخْشَى الفَقْرَ إذَا زَادَ إنْفَاقُكَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى؟

١٠- مَا عِقَابُ الفَارِّينَ مِنْ سَاحَةِ القِتالِ؟

** ** **



سلسلة كن

١-كن أميناً
٢-كن باراً
٣-كن تائباً
٤-كن حليماً
٥-كن حيياً
٦-كن راضياً
٧-كن رحيماً
٨-كن رفيقاً
٩-كن زاهداً
١٠-كن شاكراً
١١-كن شجاعاً
١٢-كن صابراً
١٣-كن طائعاً
١٤-كن صادقاً
١٥-كن عادلاً
١٦-كن عزيزاً
١٧-كن عفواً
١٨-كن عفيفاً
١٩-كن كتوماً
٢٠-كن كريماً
٢١-كن مؤثراً
٢٢-كن متأنياً
٢٣-كن متعاوناً
٢٤-كن متواضعاً
٢٥-كن متفائلاً
٢٦-كن متوكلاً
٢٧-كن محباً
٢٨-كن مخلصاً
٢٩-كن مستقيماً
٣٠-كن مشاورا
٣١-كن مضحياً
٣٢-كن معتدلاً
٣٣-كن نصوحاً
٣٤-كن ورعاً
٣٥-كن وفياً

٨١٠٠٥٤